خطبة صلاة الجمعة 4/ 3/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(قبول الاعتذار عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدا ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة الثانية والعشرون في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها:

(أخلاق النبي ﷺ، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم: **قبول الاعتذار عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به**

أيها الإخوة:

سبق أنّ الخُلُق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

ربما زلّت قدمُ المرءِ في تعامله مع من حوله فأخطأ بحقهم أو أساء إليهم، فإذا راجع نفسه وصحا إيمانه ونادى عليه كرمه جاء معتذراً إليهم مستقيلاً عثرته منهم.

فقابله أهل الفضل بفضلهم فقبلوا معذرته وربما التمسوا له العذر قبل اعتذاره.

ما قُلتَ أَنتَ وَلا سَمِعتُ أَنا هَذا حَديثٌ لا يَليقُ بِنا

إِنَّ الكِرامَ إِذا صَحِبتُهُمُ سَتَروا القَبيحَ وَأَظهَروا الحَسَنا

وإذا كان حديث اليوم عن قبول الاعتذار عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1-أخرج الإمام البخاري عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها" قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة قلنا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها. فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: "يا حاطب ما هذا؟" قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش (يقول كنت حليفاً) ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "أما إنه قد صدقكم" فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

إنها صورة من صور قبول اعتذار المعتذرين عند النبي ﷺ.

2-وأخرج ابن هشام في سيرته قال: كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة، ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه

تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض، قال ابن إسحاق: فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جهينة، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله، فقم إليه فاستأمنه، فقام إلى رسول الله ﷺ، حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير. قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر: أنه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: دعه عنك، فإنه قد جاء تائبا، نازعا عما كان عليه . وأنشد كعب رسولَ الله ﷺ قصيدته الشهيرة:

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... مُتيّم إثرها لم يفد مكبولُ

وقال فيها:

نُبِّئتُ أنّ رسولَ الله أوعَدَني ... والعفو عند رسولِ اللهِ مأمولُ

إنها صورة من صور قبول اعتذار المعتذرين عند النبي ﷺ.

3- وأخرج الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب، أنّ رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يُضحِكُ رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتِيَ به يوما فأَمَر به فجُلِد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثرَ ما يُؤتى به؟ فقال النبي ﷺ: **«لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله»** أي لم أعلم عنه إلا أنه يحب الله ورسوله.

والحاصل أنّ قبول الاعتذار والبحثُ عن الأعذار للمخطئين خُلُقُ النبي ﷺ، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون خلقَك، وأن تكون معروفاً بذلك.

تخاصم زوجان خصومة دعتْ كلاً منهما إلى للابتعاد عن صاحبه فترة إلى أن أرسلت الزوجة رسالة لزوجها تعتذر إليه مما بدر منها من مواقف وكلمات فما كان من الزوج إلا أن ذهب إلى محل الأزهار ليحمل بيده طاقة منها ويعود لبيته قاطعاً أسباب الشقاق قابلاً الاعتذار منهيا الخصام.

بقبول الاعتذار تستطيب القلوب، وتستأصل الضغينة، وتعين على التوبة، ومن أقال نادماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة.

عقد تاجر مع مخلص جمركي عقداً يلتزم فيه المخلص بشحن بضاعة للتاجر وتخليصها وتسليمها له في مستودعاته، مقابل مبلغ مالي توافقا عليه، بدأ المخلص العمل، وبسبب أوضاع عامة نزلت بالبلد تعذر على المخلص إيصال البضاعة إلى مستودعات التاجر فقبل التاجر عذره واستلمها منه في بلد آخر ليتابع بنفسه شحنها وتخليصها في بلده، وأعطى المخلص الأجور المكافئة لما قام به من العمل، متسامحاً معه راضياً عذره.

بقبول الاعتذار تستطيب القلوب، وتستأصل الضغينة، وتعين على التوبة، ومن أقال نادماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة.

اشترى تاجر عقارات شقة سكنية من ساكنها، وقد علم في جلسات المساومة أنّ صاحب الشقة يريد بيعها ليضع فوق ثمنها مبلغاً مالياً ادخره ليشتري أوسع منها، تم البيع وقبض المشتري العربون وتوافقا على التسليم بعد ثلاثة أشهر، يجد صاحب الشقة خلالها المنزلَ البديل المناسب، مر الشهر الأول ولم يجد الرجل بغيته، وقارب الثاني على الانتهاء ولم يجد كذلك، ووجد البائع نفسه نادماً على بيعه مخطئاً في تصرفه، ولكنه بقي يبحث عن المنزل البديل قبل أن تنهتي مدة التسليم، نمى للتاجر ندمُ البائع فجاء إليه ليعلمه أنه علم بندمه وأنه إن كان راغباً بفسخ العقد فالتاجر جاهز ومع أن العقد ينص على خسران العربون أو مثله على من يفسخ العقد، فالمشتري متسامح بذلك وما على صاحب الشقة إلا أن يرد العربون وينتهي العقد بينهما.

ولما سأل البائع المشتري عن سبب فعلته مع أنه تاجر عقارات يبحث دائماً عن الربح والنماء، فقال لأنه سمع حديث رسول الله ﷺ: **«من أقال نادماً أقال الله عثرته يوم القيامة»** [البزار] وقد وجدها فرصة مناسبة للطلب من حضرة الله تعالى أن يقيل عثراته يوم القيامة بإقالته عثرة أخيه.

بقبول الاعتذار تستطيب القلوب، وتستأصل الضغينة، وتعين على التوبة، ومن أقال نادماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة.

أيها الإخوة:

مما يعين على التحلي بخلق قبول الاعتذار أمران:

1- تذكر أنك ممن الممكن أن تهفو وتحب حينها من يقبل عذرك فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك.

2- تذكر أن الإنسان ضعيف وغير كامل فراعِ ضعفه ونقصه واقبل معذرته.

إذا كُنتَ في كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِباً صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه

فَعِش واحِداً أَو صِل أَخاكَ فَإِنَّهُ مُفارِقُ ذَنبٍ مَرَّةً وَمُجانِبُه

إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِراراً عَلى القَذى ظَمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه؟!.

أيها الإخوة:

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه ﷺ وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾

والحمد لله رب العالمين